

الوقت ١٧/٦/١٩٩٥

حب الوطن ... بشروط

مسعود محمد



هذه الملحوظة الاخيرة تنفتح على عالم كرهه وبين في لب لباب مقدسات الانسان على غفلة منه في تلويث اطهر احساس عنده وهو يظن انه يزيد من انشاده الى دنيا المثل والكلمات فقد كان المنتظر من التقاء « حب الوطن » من وطنين متجاورين على خط الحد الفاصل او الواصل بينهما ان تنهال على شعبيهما بركات السماوات والارضين وتفاريح السلام والوثام والاخاء بوصفهما مجموعة بشرية اهتدت الى الرشد المنعكس من نورانية الهالة المحيطة

بقدمية حب الوطن فالمفروض ابتداء ان الناس من ارومات وعقائد مختلفة اوطانا هي موضع تقديس سكانها شأنهم في ذلك كشأنهم في حب اطفالهم واموالهم وبيوتهم وشعاراتهم فلا يكون لذلك اي اعتبار او جدوى اذا تم نسيانه وتجاهله في التعايش والتجاوز ولا امل لاي وطن في السلامة اذا لم يعم احترام (حب الوطن) كقيمة حضارية عامة شاملة للاوطان جميعا وتلك بديهية اولية لا تحتاج الى الحملقة فيها فاذا كنت تحب السكين لذبح وطن مجاور فكن على ثقة ان السكاكين حولك من الجهات الاربع يتم شحذها لذبحك وذبح وطنك عند اول سانحة مواتية ولهم في ذلك حق مكتسب من كونك انت نفسك منشغلا بخراب بيت الاخرين . اقول هذا رغم علمي بكونك غارقا في تجاهل حقوق الاخرين نتيجة غرقك اذا كنت وطنيا بميزان قيم العالم الثالث ... بعد المئة في انانية قصر الحقوق على نفسك وقصر اللوم على الاخرين .

الوطنيون المنتفضون بالتوثب والثور في الدنيا عموما وفي العالم الثالث خصوصا يمارسون طقوس عمالية الضمير وقصر النظر وتجنب الاصابة في قيامهم بالوفاء الخالص للوطن الام حين يتخذون من هذا الوفاء والولاء تبريرا لا يقبل النقاش لقلب وطنية الخصوم الى كفران وجحود وضلال وجريمة يستحقون عليها ما يستحقه المجرم المحكوم بالاعدام في جريمة قتل عمد مع سبق الاصرار والترصد وهم في هذا لا يمتازون عن عابد صنم او غنم مشغول الفكر والروح بتقديس معبوده خارج كل نطاق للتعقل والتمنطق . اننا نجد في هذا الباب افانين من الانبيهار الاعرن والتفاني الداهل لا نجده الا في اندر الاحوال بصدد الفناء في الحق الصريح الذي لا يعتوره شك ، ذلك ان الحق الخالص الذي منهجه واضح ومتساق مع الطبائع غني عن افتعال المبررات له وتعويد النفس على اتباعه بزيادة تجميله وتشويه ماعده فالباطل احوج من الحق الى المبررات والبراهين المفبركة فيكون رسوخه في العقول المظلمة اعمق جذرا عن سبيل دوام تبشير المبشرين لها على سد منافذ الشك فيها وفتح بواب للتخوين على غيرها من العقائد ، ثم ان العقول المتشرية للباطل اطوع للافكار الساذجة المحلاة بالتلفيق الشهي فما اسهل اعتناق الجاهل المسطح بالحوثة والمنحوتة في تفسير الخسوف والكسوف بقياسه الى صعوبة هضم علم الفلك وثبات الشمس ودوران الارض والقمر الى اخر المقالة التي تدوخ فيها العقول .. وللكلام بقية .

حب الوطن بشروط

مسعود محمد

القيم المجردة المنعكسة من أشياء وحيثيات خارج وجود الانسان تشغل مساحة واسعة وحساسة في احساسه وعاطفته فهي ذات اثر خطير في حياته بسبب رسوخها العميق في كيانه العاطفي والواعي معا . والملاحظ ان معاشية « فكرة » من الفكر من شأنها عند الرسوخ ان تكسف غيرها من التجريدات وربما جاز التاكيد على ان اخطر التجريدات المحركة للمواطن في اغلب اكناف العالم الثالث [على وجه الخصوص] هي الثالوث المتكون من العقيدة الدينية والايديولوجية السياسية والعاطفة الوطنية [بشقيها : حب الوطن والاعتزاز بالقومية] وقد تختلط احداها بالآخرى كما يحدث في الحركات الدينية التي انقلبت الى ممارسة سياسية ولكنها تحتفظ بهويتها واهدافها في خصام مع كل فكرة تتعارض معها سواء من عقيدة دنيوية او دينية مغايرة في نظرتها الى معالجة الشر . ومن الايديولوجيات ما يخلط بين فكرة مجردة [كالقومية] وبين الاقتصاد فينشأ من اختلاطهما تركيب فريد يمتنع من التعايش مع الديمقراطية او الشيوعية لوجود فارق (القومية) كعلامة مميزة حاسمة ضد التداخل مع غيرها .. على اننا بسبب تحديد الهدف من هذه الفذلكة وقصرها على شروط الصحة والشرعية لفكرة حب الوطن لا نجد مجالاً للتوسع بما يستوعب الحالات والكمييات المحتملة للثالوث المشار اليه فالشيوعية نفسها لا تختلط مع غيرها الا في هوامش على حوافها مع الاشتراكية او الدخول في جبهة هي تختارها لضرورة مرحلية في نضالها الى السيطرة .. فالاحوال المتغيرة تخلق ضرورات ملجئة ولكن لا تزيح الفاصل بين عقيدتين لا جامع بينهما ..

ان افة الافكار الحدية والنهائية ناشئة من قيامها ابتداء على الايمان المطلق بالصواب المطلق لتصوراتها وقناعاتها ، ينعكس منها تخطيء مطلق لكل فكر ورأى مخالف لها فيكون التعايش بين الافكار الحدية المختلفة

حب الوطن بشروط

مسعود محمد

مشوباً بالقلق والتوتر وتبادل الشك والتهمة ما بقيت في محاولة الوصول الى السلطة فاذا صار احدها في الحكم يادر الى تعطيل آراء المخالفين بشكل جذري ويكون ذلك مصحوباً بالتنصيف التامة اذا لزم الامر . ومهما يحاول المكابر ان يجد تبريراً لصدور الفتاوى من مصادر متباينة بالقضاء على الخصوم العقائديين فلن يكون ذلك الا زيادة ضلال يستوجبها نزوع المتوحشين الى استنفاد القدرة على تمكين الناب والظفر من ايجاد حل المشكلة من اوسع ابوابها وبقوى سلاحها .

ولئن كانت المشاكل كغيرها من حيثيات الاجتماع البشري خاضعة للتطور والتنوع فالمحوظ ان اقدمها تاريخاً هو الخلاف العقائدي المرتبط بالغيب ، وتفاصيل تلك الخلافات محفوظة في كتب التاريخ والرواية باحاديثها وأساليب ممارستها .. على اي حال ان صاحب الدار من العرب المسلمين ادرى وأحق من غيره بابداء الرأي في الذي يجب ان يسود من الملائق بين شقي المسالة في جانبها الديني من جهة وجانبها الوطني الزمني من جهة أخرى فلا املك في ذلك الا صالح الدعوات بالرشد الى اصح وأسلم المسالك في بعدها عن الانفعال ومن الرضا بالممكن و« ادخلوا في السلم كافة » على نور من يقين الحق الذي لا يخطئه النظر السديد والرأي الرشيد لولا غشاوة النفس الراغبة المغالبة ..

ان حب الوطن في جمعه المواطنين على سكة واحدة من صالح العام خليق ان يختزل مقداراً ضخماً من التعصب والتشدد المفضيين الى المهالك اذا مورس في ضوء طبيعته ومستلزماته الناشئة منها لا من التاول والتوعر من شهية المتشهي الى الويل والثبور وعظائم الامور فالوطنية وحب الوطن نداء عذب ورسالة امان وبشارة بالاخوة والصفاء فهي من قبيل الامومة الحانية تنز بحليب الرضاعة ودفقات الحب وسهر ليلة « سلام هي حتى مطلع الفجر » .